

الحضارات القديمة

في القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

- ٣ -

الحضارة السامية

الكلدان من الشعوب السامية القديمة ، وقد قامت لهم دول بالمراق ، وكان لهم فيه حضارة تضارع الحضارة المصرية في القدم . ولكنها سارت في طريق معوج أضعف من شأنها ، وجعلها أقل نتاجاً من غيرها من الحضارات القديمة ؛ وقد نشأ هذا من أنهم كانوا يتجهون بعقولهم نحو الكواكب والنجوم ، فأتخذوها آلهة يعبدونها ، ويهتمون بمعرفة ما يتصل بها ، حتى جرم هذا إلى الاشتغال بعلم الفلك ، وإلى أن يجعلوا جل اهتمامهم في حضارتهم بهذا العلم ، وبكل ما يتصل به من العلوم كالسحر والتنجيم ، ولا شك أن مثل هذه العلوم لا تصلح أساساً لحضارة تنفع الناس في دنياهم ، وتهي لهم فيها أسباب الهناء والسعادة ، فلم يُعْنِ الكلدان بالعلوم التي تنظر إلى الأرض كما عُنُوا بالعلوم التي تنظر إلى السماء ، ولم يهتموا بالزراعة والصناعة والتجارة كما اهتم بها إخوانهم الفينيقيون في الشام ، مع أن هذه الأمور هي الأسس التي يقوم عليها بنیان الحضارة ، وترفل بها الشعوب في حلل الرفاهية ، ولهذا ذهبت الحضارة الكلدانية ولم تترك وراءها إلا شهرة بابل عاصمتها بالسحر ، وهي شهرة لا ترفع من شأنها ، ولا تجعل لها منزلة عالية بين الحضارات القديمة

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك الاعوجاج في الحضارة الكلدانية في الآية (١٠٢) من سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على منك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعملان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »

فالقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن السحر كان قد انتشر في تلك المدينة حتى عم ضرره كل الناس ، وتفاقم خطبه بينهم ، وصار أربابه هم الأمرين الناهين فيهم ، لأنهم أوهوم أن لهم قوة غيبية وراء الأسباب التي ربط الله بها السبب في هذه الدنيا ، فهم يفعلون ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر ، وفوق ما منحوا من القوى والقدر ، وأنهم يستعينون عليه بالشياطين وأرواح الكواكب ، إلى غير ذلك من ضلالاتهم وكفرياتهم ، فأرسل الله هاروت وماروت يعلمانهم حقيقة السحر ، ويبينان لهم أن السحرة بشر مثلهم لا قدرة لهم على النفع والضر ، وأن السحر إما حيلة وشعوذة لا أصل لها ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وبهذا يكون علماً يؤخذ بالتعليم ويتكرر بالعمل ، وفي استطاعة كثير من الناس أن يتعلمه ويفعل ما يفعله أربابه ، ولا يرجع كما يزعمون إلى قوة غيبية فيهم ، ولا أثر فيه لتأثير الشياطين وأرواح الكواكب ، وهو مع هذا ليس من العلوم التي يلبق بذوى الأخلاق الكريمة الاشتغال بها ، لأنه من العلوم التي تضر ولا تنفع ، ولا يشتغل به إلا كل دجال أو مشعوذ .

الحضارة الحميرية

وينسب الحميريون إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكان لهم ملك عريق باليمن ، وحضارة يشهد بفضلها ما بقي من آثارها . ومن أشهر دولهم فيه دولة سبأ ، وكانت دولة تجارية خلفت دولة معين في نقل التجارة بين الهند والحبشة والمراق والشام ومصر ، وقد زهت حضارة اليمنيين في عهد هذه الدولة ، وعظم غناؤها وثراؤها ، لأنها كانت تعنى بشق الأنهار وبناء السدود التي تحفظ المياه بين الجبال ، لتصرفها على الأرض بقدر ، ولا تذهب سدى في الفلوات والبحار ، فعمرت بذلك بلاد اليمن أعظم عمارة ، وامتلاّت نواحيها بالزروع والحداثق وناطحت قصورها وحصونها السحب وقد نوه القرآن الكريم بحضارة سبأ أعظم تنويه ، وجعلها لعظمها ونظامها آية من آيات الله ، فقال تعالى في الآيات : - ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ - من سورة سبأ (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم

واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل نخط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ؛ وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرقنهم كل ممزق ؛ إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وقد ذكر المفسرون من عظمة تلك الجنات أن المرأة كانت تحمل مكنتها على رأسها وتعر بها ، فيمتلئ المكنت من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً . وذكروا من طيب تلك البلدة أنه لم يكن يرى فيها بعموض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ، وأن الرجل كان يمر بها وفي ثيابه القمل فيموت من طيب الهواء . وذكروا أن تلك القرى الظاهرة كانت تتواصل من اليمن إلى الشام ، فإذا سافروا فيها لتاجرهم يبيتون بقرية ويقبلون بأخرى ، وكلما وصلوا إلى قرية وجدوا فيها المياه والزرع

والأشجار ، فلا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام . والقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن عظمة هذه الدولة كانت قائمة على أساس التجارة ونقلها بين تلك البلاد ، كما يشير بقوله : (باعد بين أسفارنا) إلى أن زوال عظمتها كان بسبب انتقال زمام هذه التجارة من أيدي أبنائها ، وكل هذا يتفق مع ما وصل إليه علماء التاريخ في عصرنا ، وهم لم يصلوا إليه إلا بعد الكد والتعب فى كشف ما تركته هذه الدولة من آثار ، وفى محاولة قراءة ما دونها من حوادث وأخبار ، وكلمة للقرآن من أمثال هذه المعجزات العلمية !

وكان سبب انتقال التجارة من أيدي أبناء هذه الدولة بحول طريقها من البر إلى البحر ، فأحدث ذلك أثرًا كبيراً فيها ، وجعلها تعجز عن حفظ تلك السدود وتهمل شأنها ، وكانت خاتمها بأنهار ذلك السد العظيم ، سد مأرب الذى أشار إليه القرآن الكريم .

في المقال الصعبى

(بنبع)

مكتبة النهضة المصرية

٩ ش عدلى باشا بالقاهرة

تقدم المجموعة القيمة من الكتب العربية

مؤلفات مشهورة

مؤلفات الأستاذ هبى الرافعى بك

فى تاريخ مصر القومى

٢٠	الطفل من اللهد إلى الرشد للأستاذ محمد خلف الله	٢٠	تاريخ الحركة القومية جزء أول (عهد الحملة الفرنسية)
٢٠	الحاكم بأمر الله للأستاذ عبد الله عنان	٢٠	تاريخ الحركة القومية الجزء الثانى (من الحملة الفرنسية إلى ولاية محمد على الكبير)
١٥	من أدب الفراعنة للأستاذ محمد صابر	٢٠	عصر محمد على
٣٠	مبادئ السياسة المصرية لمعالى محمد علوية باشا	٣٠	خلفاء محمد على وعصر إسماعيل فى جزئين
١٠	السياسة للأستاذ بدرخان	٢٠	الثورة العربية
٤٥	الأمراض التناسلية وعلاجها	٢٠	مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ - ١٨٩٢
	للدكتور يوسف عبد العزيز حودة		مصطفى كامل
١٠	قضية الفلاح للأستاذ ابنه الشاطى	١٥	تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٨
١٥	فى الطريق للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى	٢٠	محمد فريد ١٩٠٨ - ١٩١٩